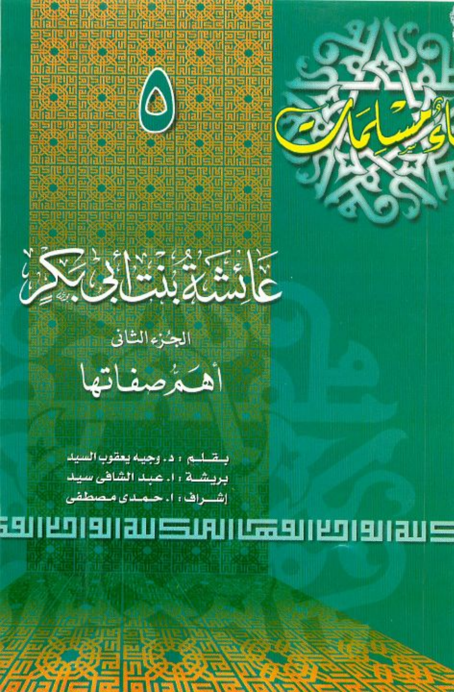

٥
نساء مسلمات
عائشة بنت أبي بكر
الجزء الثاني
أهم صفاتها
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

كانتْ (عائشةُ) تحبُّ النبيَّ ﷺ حبًا يفوقُ الوصفَ، فقدْ تفتحتْ عيناها منذُ الطفولة عليه وحدهُ ﷺ ، فأصبحَ كلُّ شيءٍ في حياتِها ، وقدْ وصلَ هذا الحبُّ أحيانًا إلى درجةِ الغَيْرةِ .

فذاتَ ليلةٍ كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يبيتُ عند (عائشَةَ) ، فخرجَ منْ عندها لبعضِ شأنِه ، وأحسّتْ به (عائشةُ) وهو يخرجُ ، فمضتْ خلفَهُ لكيْ ترى ما يفعلُهُ ، فلما رآهَا الرسولُ ﷺ قال لهَا :

ـ مالك يا (عائشةُ) ، أغِرْتِ ؟

فقالتْ :

ـ ومالي لا يغارُ مثْلي على مثْلِكَ ؟

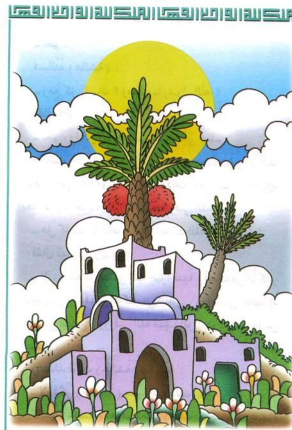
فقالَ لها النبيُّ :

ـ أقدْ جاءكِ شيطانُك ؟

فقالتْ :

ـ يا رسولَ اللَّه ومعي شيطانٌ ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ :



ـ نعمْ .

فسألتْهُ (عائشةُ) :

ـ ومعَ كلِّ إنسانٍ ؟ ومعكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقال ﷺ :

ـ نعمْ ، ولكنَّ ربِّى أعانَنى عليهِ حتَّى أسلَمَ .

وكانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالغَيْرةِ منْ (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها) حتى بعدَ موْتها ، وقالتْ ذاتَ يومٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ أنْ رأتهُ حزينًا على (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها) :

ـ هلْ كانتْ إلا عجوزًا ، قدْ أبدلكَ اللَّهُ خيراً منها ؟

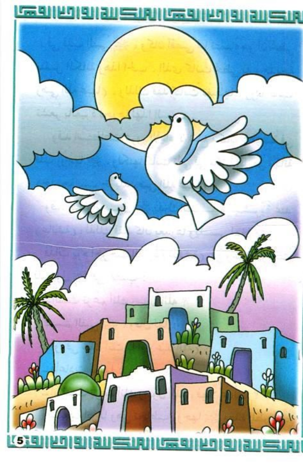
فقالَ لها الرسولُ ﷺ :

ـ لا ، واللَّهِ ما أبْدلَنى اللَّهُ خيراً منها ، آمنتْ بى إذْ كفرَ الناسُ ، وصدَّقتْنى إذْ كذَّبنى الناسُ ، وواستْنى بمالِها إذْ حرمَنى الناسُ ، ورزقَنِى اللَّهُ منهـا الولدَ دونَ غيـرِها منَ النِّساءِ !

وعندئذٍ قالتْ (عائشةُ) لنفسِهَا :

ـ لا أذكرُ (خديجةَ) بسبَّةٍ بعدَ ذلكَ أبدًا .

كانتْ (عائشةُ) تعرفُ مكانةَ (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها)



فى قلبِ النبيِّ ﷺ ، وكانَ أقصى ما تتمناهُ هو أنْ تحظى بنفسِ المكانةِ وهذا الحبِّ ، الذى كانتْ تحظَى به (خديجةُ رضيَ اللَّهُ عنها) ، ولذلكَ فقدْ كانتْ تغْبِطُها ، وربما كانتْ تشعرُ بالغيْرةِ نحوها لهذا السببِ .

وقدِ اسْتطاعتْ بمرورِ الأيامِ أنْ تبلُغَ مكانةً عظيمةً فى قلبِ زوْجِها ﷺ ، ولكنها كانتْ تأتِى فى مكانةٍ أقلَّ منْ مكانةِ (خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضىَ اللَّهُ عنها) .

وقدْ كانَ الرسولُ ﷺ يدركُ الطبيعةَ البشريَّةَ عندَ (عائشةَ) ، لذلكَ فقدْ كانَ يعذرُها ويلتمسُ لها العُذْرَ .

فذاتَ يومٍ أخرجتْ الغيرةُ (عائشةَ) عنْ وعْيِها ، وقالتْ للرسولِ ﷺ فى غضبٍ :

ـ ألَسْتَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّه ؟

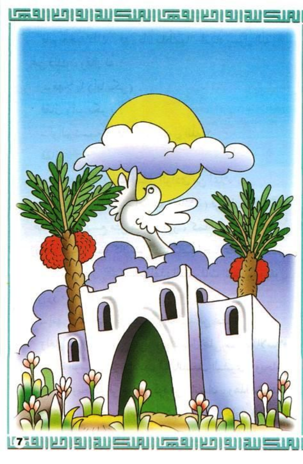
فتبسَّمَ النبيُّ ﷺ ، وقالَ لها :

ـ أوَ فى شكٍ أنتِ يا أمَّ (عبدِ اللَّه) ؟

ـ فأعادتْ قوْلَها :

ـ أو لستَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّه ، فهلا عدلْتَ ؟

وسمعَها أبوهَا وهى تخاطبُ زوجَهَا ﷺ بهذهِ الطريقةِ ،



فلمْ يُعْجِبْهُ ذلكَ ، فهمَّ بأنْ يلطُمَها ، فنهاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنْ ذلكَ ، وقالَ لهُ :

ـ مهلاً يا (أبا بكرٍ) .

فقالَ (أبو بكرٍ) :

ـ أوَ لمْ تسمعْ ما قالتْ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ إنَّ الغيْرَةَ لا تُبْصِرُ أسفلَ الوادى منْ أعلاهُ .

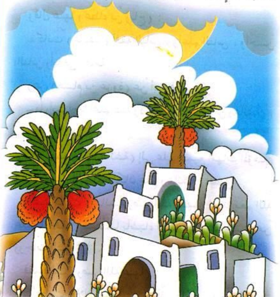
وكانَ الرسولُ ﷺ يتسامحُ مع (عائشةَ) فى ذلكَ ، فقدْ كانَ صدرُهُ رحبًا يسعُ مثلَ هذهِ الأمورِ ، كما أنهُ كانَ يعرفُ أنَّ زوجتَهُ تحبُّهُ ، كما كانَ هو أيضًا يُحبها حبًا عظيمًا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يبتسمُ لهذهِ التصرفاتِ النسائيةِ ويقولُ عنْ زوجاتهِ مداعبًا :

ـ إنهنَّ صواحبُ يوسفَ ، وإنَّ كيدَهُنَّ عظيمٌ .

ولعلَّ هذا إنْ دلَّ على شيءٍ ، فإنما يدلُّ على سماحةِ الإسلامِ وسماحةِ الرسولِ ﷺ ، إذْ يعترفُ بالضعفِ البشريِّ ، ويحاولُ أنْ يعالجَهُ ويحوِّلَهُ إلى مواطنِ قوةٍ فى الإنسانِ ، وهذا ما حدثَ مع (عائشةَ) ، حيثُ أصبحتْ بمرورِ الوقتِ تحاولُ التخفف

منْ غيرتِها ، وتحوَّلتْ هذه الغيرةُ إلى حبٍ واحترامٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما أنَّها انشغلَتْ بما هو أهمُّ ، حيثُ حرصتْ على حفظِ أحاديثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لأنَّهُ كانَ يمكثُ عندها أكبرَ وقتٍ ، وكانَ الوحيُ يتنزلُ عليهِ وهوَ عندها .



ولذلكَ فقدْ أخذَ عنها العلماءُ أحاديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وصارتْ أهمَّ مرجعٍ يمكنُ الاعتمادُ عليه في هذا الجانبِ ، فقدْ روتْ عنها كتبُ الحديثِ الصحيحةِ أكثرَ منْ ألفَيْ حديثٍ مختلفٍ .

وقالَ عنها (عطاءُ بنُ رباحٍ) :

ـ كانتْ (عائشةُ) أفْقَهَ الناسِ ، وأعلَمَ الناسِ ، وأحسنَ الناسِ رأيًا في العامَّةِ .

وعنْ (هشامِ بنِ عروةَ) عنْ أبيهِ قالَ :

ـ ما رأيتُ أحدًا أعلَمَ بفقهٍ ولا بطبٍ ولا بشعرٍ منْ (عائشةَ) .

وقالَ (الزهريُّ) :

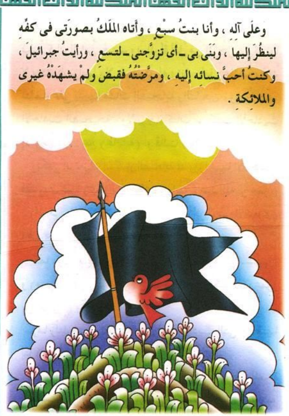
ـ لو جُمِعَ علمُ (عائشةَ) إلى علمِ جميعِ أمَّهاتِ المؤمنينَ وعلمِ جميعِ النساءِ ، لكانَ علمُ (عائشةَ) أفضلَ .

ولقدْ كانتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تدركُ نعمَ اللَّهِ عليها ، فقدِ اختصَّها بأشياءَ لمْ يختصَّ بها غيرَها منْ زوجاتِ النبيِّ ﷺ .

فقدْ قالتْ (رضيَ اللَّهُ عنها) :

ـ أُعطيتُ خلالاً ما أُعطيَتْها امرأةٌ : ملكني رسولُ اللَّهِ ﷺ

وعلَى آلهِ ، وأنا بنتُ سبْعٍ ، وأتاه الملَكُ بصورَتى فى كفِّهِ لينظُرَ إليها ، وبَنَى بى ـ أى تزوَّجنى ـ لتسعٍ ، ورأيتُ جبرائيلَ ، وكنتُ أحبَّ نسائهِ إليهِ ، ومرَّضْتُهُ فقبضَ ولمْ يشهَدْهُ غيرى والملائكةِ .



لقدْ غيَّرتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) نظرةَ الناسِ إلى المرأة ، فقدْ كانَ الناسُ يعتبرونَ المرأةَ أقلَّ منَ الرجُلِ ، وكانوا لا يعتدُّونَ برأيها ولا يقيمونَ له وزنًا ، أما (عائشةُ) فقدْ تتلْمذَ على يديها مئاتُ الصحابةِ والتابعينَ ، ورووْا عنها الأحاديثَ الصحيحةَ ، ولا يوجدُ كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ إلا ونجدُ فيه : عنْ (عائشة) أو قالت (عائشةُ) .

ويكفى أنْ نعرفَ أن كبارَ الصحابة قدْ رووْا عنها الأحاديثَ ، فقدْ روَى عنها (عمرُ بنُ الخطاب) وابنُهُ (عبدُ اللَّه بنُ عمرَ) و (أبو هُرَيرةَ) و (عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ) و (أبو موسَى الأشعرِىُّ) وغيرُهم .

كما روَى عنها منْ كبارِ التابعينَ : (سعيدُ بنُ المسيّب) و (مَسْروقٌ) و (أبو وائلٍ) و (عبدُ الله بنُ حكيمٍ) و (عمرُو بنُ ميمونٍ) وآخرونَ .

وما زِلْنا حتى يوْمنا هذا نروِى الأحاديثَ التى حفظتْهَا لنا (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ولعلَّ الإسلامَ بذلكَ قد سبقَ العالمَ أجمعَ ، إذْ جعلَ للمرأةِ المسلمةِ مثلَ هذه المكانة ، فهىَ معلمةٌ للرجالِ ، وراويةٌ



للأحاديث ، وفقيهةٌ تفتى فى أدقِّ المسائلِ ، ولا يملكُ الرجالُ إلا أنْ يتلقَّوْا ذلكَ بإعجابٍ وتقديرٍ ، ويُشيدوا بصاحبتِهِ (رضىَ اللّهُ عنها) .

فقدْ قالَ الصحابةُ (رضوانُ اللّهِ عليهمْ) :

ـ ما أشكلَ علينا أمرٌ ، فسألْنا عنهُ (عائشةَ) إلاَّ وجدْنا

عندَها فيه علْمًا ، وكانتْ تحفظُ أشعارَ العربِ ، حتى إنها ما كانَ ينزلُ بها شيءٌ إلا أنشدَتْ فيه شعرًا .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) مضربَ المثلِ في العلْمِ والحفْظِ ، فقدْ كانتْ مثالاً نادرًا في الجودِ والكرمِ ، حتى إنها كانتْ تنفقُ كلَّ ما يأتيها في سبيلِ اللَّهِ ، وربمَا لا تتركُ لنفسِها ما تشترى به الطعامَ .

فقدْ جاءَها ذاتَ يومٍ مائةُ ألفِ درهمٍ ففرَّقتْها على الفقراءِ وهيَ يومئذٍ صائمةٌ ولمْ تترُكْ لنفسِها شيئًا ، فقالتْ لها خادمتُها :

ــ أما تركتِ درهمًا تشترينَ به لحمًا تفطرينَ عليه ؟

فقالتْ (عائشةُ) :

ــ لو كنتِ أذكرتِني لفعلتُ .

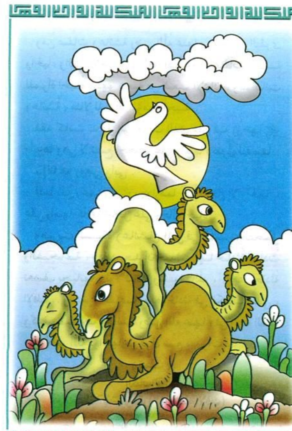
ودخلَ عليها أحدُ المسلمينَ ، وقالَ لها :

ــ يا أمَّ المؤمنينَ أصابتْني فاقةٌ .

فقالتْ :

ــ ما عندى شيءٌ ، فلوْ كانَ عندى عشرةُ آلافِ درهمٍ لبعثتُ بها إليكَ .

فلما خرجَ الرجلُ منْ عندها ، جاءَتْها عشرةُ آلافِ درهمٍ منْ عندِ (خالدِ بنِ أُسَيْدٍ) ، فأرسلتْ بها إليهِ .



ومنْ صفات (عائشةَ رضىَ اللَّهُ عنها) : الورعُ والتقوى والحياءُ والبرُّ بالآخرينَ ، ولعلَّ أهمَّ هذه الصفات بالنسبة للمرأة الحياءُ ، فهو شُعْبةٌ منْ شُعب الإيمانِ ، وقَدْ كانتْ (عائشةُ) مثالاً للمرأة المؤمنة الحَيِيَّة .

فقدْ كانتْ تدخلُ إلى البيتِ الذى دفنَ فيه زوْجها ﷺ وأبوها وهى لا تضعُ الحِجابَ على رأْسِها وتقولُ لنفسِها :

- إنما هو زوْجى وأبى .

فلما دُفنَ (عمرُ) رضي الله عنه بجوارهما ، لمْ تدخلْ إلا والحجابُ على رأسِها كأنَّها تدخلُ على رجال أحْياءَ .

وضربت السيدةُ (عائشةُ) المثلَ فى الصَّبر والتحمُّلِ والشجاعة ، وذلكَ بعدَ أنْ حدثتْ لها حادثةٌ كادتْ تعصفُ بحياتِها ، لولا ثباتُها وثقتُها باللَّه ، ألا وهى حادثةُ الإفْكِ .. وسنَعْرِفُ تفاصيلَ هذه الحادثة فى الكتاب التالى ، وكيفَ صمدتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عَنْها) فى وجهِ الظلمِ حتى أظهرَ اللَّهُ براءَتَها منْ فوق سبْعِ سَموات ..

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٣) (حادثة الإفك)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣١٩٧
الترقيم الدولى : ٣ - ٥٧٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧